مقالة: التعامل الأمثل مع الخطأ

من كتاب:

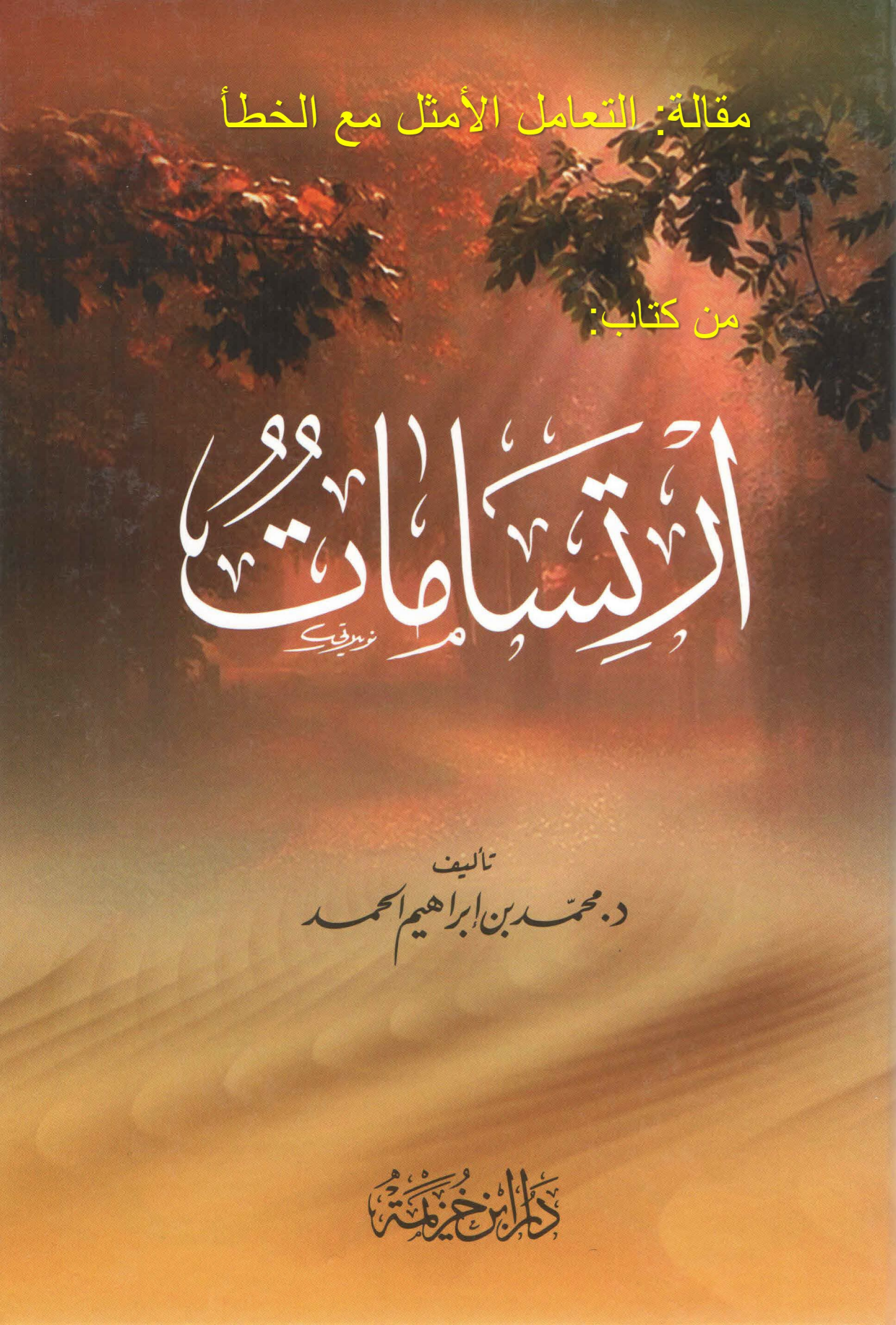

٣٢ ـ التعامل الأمثل مع الخطأ

الخطأ طبيعة البشر، والإخفاق سبيل النجاح، واعتقاد السلامة من ذلك نوع من الخيال، أو ضرب من الخبال.

والذي يظن أنه لن يخطئ، أو يرغب في التعامل مع مَنْ لا يخطئ- فخير له أن يبحث عن كوكب يعيش فيه غير الأرض، أو أن يفتش عن خَلْقٍ يعيش بين ظهرانيهم غير البشرِ، كحال الذي يقول:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى ... وصوَّت إنسان فكِدْتُ أطير

يرى اللهُ أني للأنيس لكارهٌ ... وتُبغِضُهم لي مُقلةٌ وضمير[1]

وكحال الشنفرى الذي يقول في لاميته المشهورة بـ (لامية العرب):

ولي دونكم أهلون سِيْدٌ عَمَلَّسٌ ... وأرقط زهلول وعَرْفَاءُ جيألُ

أولئك لا مستودع السر ذائع ... لديهم ولا الجاني بما جرَّ يُخْذَلُ[2]

فليست المشكلة -إذاً- أن يقع الخطأ؛ فذلك أمر لا بد منه.

وإنما المشكلة في الإصرار على الخطأ، وسوء التعامل معه؛ فكم من الناس من يغسل يديه من فلان أو فلان بمجرد وقوعه في خطأ ما، أو اجتهاد غير صائب.

وكم من الناس من يهجر إخوانه، وأصحابه، وخلطاءه - عند أدنى هفوة أو زلة، فلا يقبل منه بعد ذلك عذراً، بل ربما عيَّره بذلك.

---

(١) هذان البيتان من قصيدة تُنسب لتأبط شراً، وللشنفرى، ولغيرهما.

(٢) السِّيد: الذئب، والعَمَلَّس: القوي الشديد على السير، والأرقط: النَّمِر، والزهلول: الأملس: والعَرْفاء: الضبع؛ لطول عرفها، وكثرة شعرها، وجيأل وجيألة: الضبع.
والشاعر ههنا يخاطب أقاربه، ويبين لهم أن له بدلاً عنهم أهلين آخرين، وهم تلك الحيوانات المذكورة في البيتين، يقول ذلك لما ضاق عيشه عند أقربائه.

وكم من المسؤولين في كثير من القطاعات الخاصة والعامة من يفقد الثقة بمن تحت يده إذا وقع بأي خطأ، ولو كان عن غير قصد.

ولـــست بمـــستبقٍ أخـــاً لا تُلِمُّـــه عـــلى شـــعثٍ أيُّ الرجـــالِ المهـــذبُ

إلى غير ذلك من تلك السلسلة الطويلة التي تبدأ، ولا تكاد تنتهي.

ولا ريب أن ذلك المسلك ليس بسديد ولا رشيد؛ إذ الحكمة، والعقل، والواقعية ـ كل أولئك يقتضي حسن التعامل مع الخطأ، والسعي الحثيث في إصلاحه دون وكس ولا شطط.

ومن رام غير ذلك فقد رام المستحيل، ولن يبقى له أحد غير نفسه التي بين جنبيه.

ومـن ذا الـذي تُـرْضَى سـجاياه كلهـا كفـى المـرء نـبلاً أن تُعَـدَّ معايبُـه

ثم إن الخطأ ليس على وتيرة واحدة؛ فقد يكون يسيراً، وقد يكون أول مرة، وقد يكون كبيراً، وقد يكون متكرراً؛ فالموقف من الخطأ ـإذاً ـ لا ينبغي أن يكون واحداً، بل يراعى في ذلك حال المخطئ، وشخصه، وزمانه، ومكانه.

والخطأ ـأيضاً ـ يُعَالَجُ، ولا يُتْرَكُ، ولكن لا يغفل عن مراعاة ما مرَّ ذكره.

وإذا أخطأ إنسان فلا يعني ذلك صرمَه، وردَّ صوابه، واعتقادَ أنه غيرُ صالحٍ لشيء بعد ذلك.

هذا وإن السيرة النبوية حافلة بما يناسب هذا المقام، فلقد كان النبي ـعليه الصلاة والسلام ـ يقف على بعض أخطاء أصحابه، فيعالجها بما يلائمها، ولكنه لا يقف كثيراً عند الخطأ، بل يكتفي بإيضاحه وإصلاحه، ثم يمضي لشأنه، ويستأنف أمره مع من أخطأ، دون زهد به، أو تعييره بخطئه، أو اجترار مواقفه السابقة التي يسوؤه تَذكُّرُها.

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً.

ومن أجلاها ما كان من شأنه -عليه الصلاة والسلام- مع الصحابي الجليل أسامة بن زيد ﷺ.

وقبل الدخول في ذلك يحسن الإشارة إلى أن النبي ﷺ لما توفي كان عُمُر أسامة ابن زيد سبعةَ عشر عاماً.

وإليك شيئاً من تلك المواقف النبوية مع أسامة، مما يؤكد ما ذُكِر آنفاً.

جاء في الصحيحين عن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فَصَبَّحْنا الحُرُقات من جهينة، فصبحنا القوم، فهزمناهم، ولَحِقْتُ أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف عنه الأنصاري، وطعنته برمحي؛ حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ فقال لي: «**يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟**».

قال: قلت: يا رسول الله إنما كان متعوذاً.

قال: فقال: «**أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟**» قال: فما زال يكررها علي؛ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

فهذا الحوار الحازم الذي استدعاه المقام، لم يكن سبباً في إهدار قيمة أسامة ﷺ بل أنصفه النبي ﷺ وعدل معه؛ حيث أنكر صنيعه، ولم يرض عن فعله، مع أنه صدر من حِبِّه وابن حِبِّه.

ومع هذا لم يكن ذلك الخطأ ذريعة للزهد بأسامة، والحذر من توليته أمراً من الأمور؛ فالنبي ﷺ إنما تبرأ من الفعل، ولكنه لم يبرأ من أسامة، ولم يُفْقِدْه ثقته بنفسه، بل بقي -كما هو- حِبَّه، وابنَ حِبِّه، وكان يُستشفع به عنده ﷺ كما في حديث المخزومية التي سرقت، فقد جاء في الصحيحين عن عائشة -رضي الله

عنها- أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت؛ فقالوا: ومن يكلم رسول اللهﷺ ومن يتجرأ عليه إلا أسامة حِبُّ رسول اللهﷺ.

فكلم رسول اللهﷺ فقال: «**أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟**».

ثم قام فخطب، قال: «**يا أيها الناس! إنما أضل من قبلكم أنهم إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**».

والأعجب من ذلك أنهﷺ كان يستشير أسامة كما في حديث قصة الإفك، وفيه: قالت -أي عائشة رضي الله عنها-: «فدعا رسول اللهﷺ عليَّ بن أبي طالب، وأسامة بن زيد -رضي الله عنهما- حين استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله.

قالت: فأما أسامة فأشار على رسول اللهﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي لهم في نفسه من الود، فقال: يا رسول الله! أَهْلَك، ولا نعلم إلا خيراً» الحديث رواه البخاري.

بل كان -عليه الصلاة والسلام- يردفه على الراحلة، حيث كان رديفه في حجة الوداع؛ فقد جاء في صحيح مسلم عن أسامة بن زيد أنه كان رديف النبيﷺ حين أفاض من عرفة؛ فلما جاء الشِّعب أناخ راحلته، ثم ذهب إلى الغائط، فلما رجع صببت عليه من الإداوة، فتوضأ، ثم ركب، ثم أتى المزدلفة، فجمع بين المغرب والعشاء».

وفيه عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول اللهﷺ أفاض من عرفة، وأسامةُ رِدْفُه.

فانظر إلى هذا الحب، وتلك الحفاوة من معلم الخير، وإمام الأمة.

بل إنه ـعليه الصلاة والسلامـ أمَّر في آخر عمره أسامة على الجيش الذي كان فيه أكابر الصحابة ـرضي الله عنهمـ.

فقد جاء في الصحيحين عن عبدالله بن عمر ـرضي الله عنهماـ: أن رسول اللهﷺ بعث بعثاً، وأَمَّر عليهم أسامة بن زيد ﷺ فطعن الناس في إمارته فقام رسول اللهﷺ فقال: «**إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده**».

وهذا غاية ما يكون من الإنصاف، والعدل مع المخطئ.

فهذه السيرة النبوية مع ذلك الصحابي الجليل جديرة بالتأمل، واستلهام العبر.

وإن من عبرها أنها ترشد العالم، والمربي، والوالد، والرئيس إلى أن يحسن تربية من تحت يده خصوصاً حال صدور الخطأ؛ إذ يلاحظ أن كثيراً من الناس يزهدون بمن يخطئ أيَّ خطأ، وربما فقدوا الثقة به مطلقاً، وربما عَيَّروه بذلك الخطأ، وكأنهم بذلك يريدون التعامل مع ملائكة لا بشر.

فهذه السيرة ترشد إلى أن الخطأ يُنْكَرُ، ويصحح، ويعالج.

ولكن لا ينبغي أن يكون ذلك حاملاً على ترك صاحبه، أو تعييره به؛ إذ إن ذلك يجعلنا نخسر طاقات كثيرة يمكنها معالجة أخطائها، والإفادة منها مستقبلاً، كحال أسامة الذي أصبح فيما بعد من خيار الصحابة، بل كان من أشدهم ثباتاً حال الفتن.

وإنما كان كذلك ـبعد توفيق اللهـ بسبب تلك التربية النبوية الحازمة الرحيمة.

بل إن الشأن في قصة حاطب بن أبي بلتعة أعظم من ذلك؛ فقد جاء في

الصحيحين عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: «بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد الغنوي، والزبير بن العوام وكلنا فارس قال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ؛ فإن بها امرأةً من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين**».

فأدركناها تسير على بعير لها -حيث قال رسول الله ﷺ- فقلنا: الكتاب، فقالت: ما معنا كتاب، فأنخناها، فالتمسنا، فلم نر كتاباً، فقلنا: ما كذب رسول الله ﷺ لَتُخْرِجِنَّ الكتاب، أو لَنُجَرِّدَنَّكِ، فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها -وهي محتجزة بكساء- فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين؛ فدعني فلأضربْ عنقه.

فقال النبي ﷺ: «**ما حملك على ما صنعت**».

قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله ﷺ أردت أن يكون لي عند القوم يدٌ يدفع الله بها عن أهلي، ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله، وماله.

فقال النبي ﷺ: «**صدق، ولا تقولوا له إلا خيراً**».

فقال عمر: إنه قد خان الله، ورسوله، والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه.

فقال: «**أليس من أهل بدر؟**» فقال: «**لعل الله اطلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم**».

فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم.

ولمسلم في روايته يقول -أي علي ﷺ-: بعثنا رسول الله أنا والزبير والمقداد، فقال: «**ائتوا روضة خاخ؛ فإن بها ظعينةً معها كتاب، فخذوه منها**».

فانطلقنا تَعادَى بنا خيلُنا، فإذا نحن بالمرأة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت:

ما معي كتاب فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**يا حاطب ما هذا؟!**».

قال: لا تعجل عليَّ يا رسول الله؛ إني كنت امْرَأً ملصقاً في قريش -قال سفيان: كان حليفاً لهم ولم يكن من أَنْفُسِهَا- وكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، ولم أفعله كفراً، ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال النبي ﷺ: «**صدق**».

فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال ﷺ: «**إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**».

فأنزل الله -عز وجل-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١].

فهذا حديث عظيم، يشتمل على غرر من العلم، ودرر مما نحن بصدده.

والشاهد ههنا قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**ما حملك على ما صنعت؟**».

وفي الرواية الأخرى: «**يا حاطب؛ ما هذا؟**».

ففي هذا الحديث العظيم بيان لشأن التثبت؛ فالنبي ﷺ لم يعجل بالحكم على حاطب حتى استدعاه، وحاوره، وسأله، وتثبت من وقوع الحدث، وصحة الخبر؛ ففي هذه الحادثة تم التثبت عن طريق أوثق المصادر ألا وهو الوحي،

والمرحلة الثانية هي مرحلة التثبت عن الأسباب التي دفعت إلى ارتكاب الخطأ.

ثم بعد أن تأكد ـعليه الصلاة والسلامـ من وقوع الخطأ قَبِلَ عذر حاطب، وأحسن الظن به، وتذكر أحسن مناقبه، ألا وهي شهوده بدراً؛ فلم ينسَ سابقته، وقدم صدقه في الإسلام.

وقريب من المثالين السابقين ما كان من شأنه ـعليه الصلاة والسلامـ مع معاذ بن جبل ﷺ فقد جاء في الصحيحين عن جابر بن عبدالله ﷺ قال: «كان معاذ ابن جبل يصلي مع النبيﷺ ثم يرجع فيؤم قومه، فصلى ليلة مع النبيﷺ العشاء، ثم أتى قومه فأمَّهم، فافتتح بسورة البقرة، فانحرف رجل، فسلَّم، ثم صلى وحده، وانصرف، فقالوا له: أنافقت يا فلان؟ قال: لا، والله لآتين رسول الله ﷺ فلأخبرنه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنَّا أصحاب نواضح نعمل بالنهار، وإن معاذاً صلى معك العشاء، ثم أتى فافتتح بسورة البقرة، فأقبل رسول الله ﷺ على معاذ فقال: «**يا معاذ! أفتان أنت! اقرأ بكذا، واقرأ بكذا**».

وفي رواية: «**يا معاذ! أفتان أنت** ـثلاثاًـ اقرأ: «**والشمس وضحاها**» و«**سبح اسم ربك الأعلى، ونحوهما**».

وفي رواية: «فتان، فتان، فتان» ثلاث مرار أو قال: «فاتناً، فاتناً، فاتناً».

فهذا حوار فيه شيء من الشدة والحزم الذي استدعاه المقام.

ومع ذلك لم ينس ـعليه الصلاة والسلامـ سابقةَ معاذٍ، ولا فضله، ولا علمه، ولم يكن ذلك وسيلة إلى الإعراض عنه، والزهد فيه، بل إن الأمر انتهى ساعة نهاية الحوار.

وبعدها أقبل ـعليه الصلاة والسلامـ على معاذ، ولم يصرم حبال الودِّ معه، ولم يدع تخصيصه ببعض العلم، كما جاء في الصحيحين عن معاذ ﷺ قال:

«كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له: عفير فقال: **يا معاذ هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله**، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **فإن حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله، أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**، فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس، قال: **لا تبشرهم فيتكلوا**».

فانظر إلى هذا العطف، وهذه المودة مع الإنكار والحزم في الحديث الأول.

بل إن خطأ معاذ في إطالة الصلاة لم يمنع النبي ﷺ من أن يرسله إلى اليمن قاضياً وحاكماً، ومفتياً كما في الصحيحين.

ولم يمنعه -عليه الصلاة والسلام- ذلك من أن يصرح لمعاذ ﷺ بالحب، فيقول: «**يا معاذ إني -والله- لأحبك، أوصيك يا معاذ لا تَدَعَنَّ في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[1].

أين هذا العدل، وذلك التعامل الراقي؟ من أناس لا يرعون تلك الأصول؛ فتراهم يصرمون، ويهجرون لأدنى سبب، وأقل هفوة، ولا يكادون ينسون خطأ المخطئ وإن اعتذر، أو جاء بألف شفيع.

---

(١) رواه أحمد ٥/٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٧٤، وأبو داود (١٥٢٢) والنسائي (١٣٠١) والحاكم ١/٢٧٣ وصححه ووافقه الذهبي، وصححه ابن خزيمة (٧٥١).